1. الاحصاء وعلاقته بعلم الاجتماع

ربما يتساءل المرء عن أهمية الاحصاء بالنسبة الى مجال تخصصنا وهو علم الاجتماع , معتقدا أن الاحصاء موضوع يدخل في صميم التخصصات السابقة وبخاصة الاقتصاد والتجارة , لكن في الواقع يحتاج الباحث الاجتماعي والمتخصص في العلوم الاجتماعية بوجه عام في كثير من الاحيان الى استخدام الارقام لكي يلخص ويعرض بها مجموعة من المشاهدات التي تتعلق بظاهرة يهتم بدراستها .

فالمادة العلمية التي يتم جمعها أثناء مشروع البحث يمكن أن تكون كيفية ( أي يتم التعبير عنها في كلمات ) أو كمية( أي يتم صياغتها في أرقام ) أو تكون من النوعين . والمعروف أن تجميع المعلومات الاحصائية يمثل على الدوام خطوة أولية وجوهرية في أي دراسة تجرى على أنساق صغيرة تستخدم أيضا العمليات والاجراءات الاحصائية . ولقد كانت هناك في الماضي مدرسة من علماء الاجتماع الذين كانوا يعتقدون أن المعلومات لا يمكن استخدامها في أغراض البحث العلمي ما لم تكن مصاغة في قالب كمي . وعلى الرغم من أن هذا الشرط قد فقد معناه اليوم, ولم يعد له ما يبرره , الا أنه من المؤكد أن تدقيق العبارات والمفاهيم اللفظية وتحويلها الى قياسات عددية أصبح يمثل أحد الاهتمامات الرئيسية لعلماء الاجتماع , بل يمكن القول بأن تسعة أعشار الدراسات السوسيولوجية تعتمد على البيانات الكمية بصورة أساسية .

والمايا التي يجنيها الباحث من الطرق الاحصائية تتمثل فيما يلي :-

1. يساعد الاحصاء الباحث على اعطاء أوصاف على جانب كبير من الدقة العلمية , فهدف العلم الوصول الى أوصاف الظواهر ومميزاتها الطبيعية , وكلما توصل العلم الى زيادة في دقة الوصف , كان ذلك دليلا على التقدم العلمي ونجاح الاساليب العلمية . ودقة الوصف تحتاج دائما الى اختبار مدى ثبات النتائج التي حصل عليها الباحث , فمجرد الوصول الى النتائج دون التحقق من ثباتها لا يكفى عادة كأساس يعتمد عليه في تفسير الحقائق وتحقيق الفروض .
2. يساعد الاحصاء على تلخيص النتائج في شكل ملائم مفهوم فمجرد ذكر درجات الطلاب في مادة الاحصاء مثلا لا يكفي للمقارنة بين الجنسين , بل أن حساب متوسطى الدرجات قد سهل مهمة المقارنة كثيرا , فالبيانات التي يجمعها الباحث لا تعطى صورة واضحة الا اذا تم تلخيصها في معامل أو رقم أو شكل توضيحي كالرسوم البيانية .
3. يساعد الباحث على استخلاص النتائج العامة من النتائج الجزئية فمثل هذه النتائج لا يمكن استخلاصها الا تبعا لقواعد احصائية كما يستطيع الباحث أن يحدد درجة احتمال صحة التعميم الذي يصل اليه .
4. يمكن الباحث من التنبؤ بالنتائج التي يحتمل أن يحصل عليها في ظروف خاصة . فبمساعدة الاحصاء يمكن للباحث أن يتنبأ من نتائج ما يجربه من اختبارات في وقت ما لقدرة أو قدرات خاصة ما ينتظر للافراد الذين يختبرهم من نجاح في مهنة معينة أو نوع معين من التعليم .
5. في كثير من البحوث يهدف الباحث الى تحديد أثر عامل خاص دون غيره من العوامل مما لا يتسنى تحقيقه عمليا . وهنا يستطيع أن يلجأ الى الاحصاء فيعاونه على فصل عامل خاص من العوامل المحتملة وتحديد أثره على حدة , كما يعينه على التخلص من أثر العوامل الاخرى التي لا يستطيع تفاديها في بحوثه والتي تؤثر دائما في نتائج كل بحث كعامل الصدفة واختيار العينات .
6. قبل ذلك كله يهدى الاحصاء الباحث عند تنظيم خطوات بحثه , فهو يحتاج اليها في مرحلة تصميم البحث وتخطيطه حتى يمكنه في النهاية أن يخرج من بحثه بالنتائج التي يسعى الى تحقيقها , فهو يهديه الى أضبط الوسائل التي تؤدى الى التفكير الصحيح من حيث الاعداد أو الاستدلال والقياس أثناء خطوات البحث . واذا كان هذا هو حال الاحصاء بالنسبة للبحوث العلمية بوجه عام , فان حاجة البحوث الانسانية أشد ما تكون الى تطبيق هذه الوسائل , لذلك كانت البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية من أصعب البحوث , وتحتاج الى حرص زائد ومهارة فائقة من الباحث , ويمكن تلخيص أسباب ذلك فيما يلي :-
* ان السلوك البشري في تغير دائم ومدى تغيره من فترة لاخرى أوسع مما نظن لدرجة تجعل من الصعوبة بمكان اعطاء تنبؤات علمية دقيقة عنه .
* ان السلوك البشري كثيرا ما يخدع دارسه , ذلك لان حقيقته قد تختلف كثيرا عما يبدو عليه , مما يحتاج الى ضبط في البحث ودرجة كبيرة من الدقة الاحصائية .
* ان السلوك البشري معقد تعقيدا كبيرا وتتدخل فيه عوامل قد تزيد او تختلف عما يبدو عليه , مما يحتاج الى ضبط في البحث ودرجة كبيرة من البحث ودرجة كبيرة من الدقة الاحصائية .
* ان السلوك البشري معقد تعقيدا كبيرا وتتدخل فيه عوامل قد تزيد أو تختلف عما يتوقعه الباحث .
* البحوث الانسانية يقوم بها انسان , كذلك مما يسمح بتدخل العوامل الشخصية كثيرا في نواحي القياس والوصف بدرجة قد تكون كبيرة أو صغيرة حسب الطرق التي يستخدمها الباحث وطرق الضبط الاحصائي خير وسيلة تعين الباحث على استبعاد هذه العوامل الشخصية .

ومن أشهر الدراسات السوسيولوجية التي اعتمدت على المصادر الاحصائية دراسة دوركايم عن الانتحار . وفيها يذهب الى ( انه اذا كان المرء يريد أن يعرف كل ما يتفرع عن الانتحار كظاهرة جمعية فانه ينبغي أن ينظر اليها في شكلها الجمعي من خلال البيانات الاحصائية ) . وقد اعتبر دوركايم أن المؤشرات الاحصائية عن الاسباب التي دفعت الافراد الى الانتحار بمثابة مصدر لمعرفة الدوافع المفترضة وراء الاقدام عليه .. وهكذا نلاحظ أنه قد شيد فروضه على أساس من الارقام والاحصاءات التي رأى أنها تعين لنا أقرب نقطة لبدء البحث السوسيولوجي .

1. علاقة الاحصاء بالانثروبولوجيا

يعد إدوارد تايلور أول من لفت الانتباه الى إمكانية استخدام الإحصاء في البحوث الأنثروبولوجية ، فقد كان رائدا في هذا المجال ، حيث قام بدراسة أنماط القرابة والزواج فقد جمع معلومات من 350 مجتمعا من مجتمعات العالم ، وطبق طرقا إحصائية لكي يجد العلاقة بين النظم الاجتماعية بطريقة متسقة تسمح بالاستدلال على حدود التطور الثقافي و بشكل منتظم يمكن إخضاعه لقوانين، وقد ألقى تايلور في عام 1888 محاضرة حول هذا الموضوع ربط فيها بين ازدهار الأنثروبولوجيا الاجتماعية واستخدام الأسلوب الإحصائي. وقد لقت تلك المحاضر معارضة من جانب الأنثروبولوجيين ورفض الإحصاء في تلك الفترة، وفي الأواخر الأربعينات من القرن الماضي ، طرحت نفس الإشكالية وبنفس الحدة التي كانت في وقت تايلور ، وساعد على تجدد تلك الدعوة هو اتساع الاهتمام الأنثروبولوجيا ، فبعد أن كانت تقتصر على دراسة المجتمعات البدائية البسيطة المتجانسة ، صغيرة الحجم نسبيا اتسع نطاق الاهتمام إلى دراسة المجتمعات القروية والحضارية.

ومن العوامل التي دعمت الاستعانة بالأسلوب الإحصائي في البحوث الأنثروبولوجية هو الاهتمام بدراسة البناء الاجتماعي ، وهنا كانت الحاجة إلى الاستعانة بالأسلوب الإحصائي لدراسة هذا البناء وفهمه وكذلك عقد المقارنة الثقافية بين المعطيات البيانات التي يتم جمعها من عدة مجتمعات ومن هنا تم ترجيح الأسلوب الإحصائي يإعتباره من أهم الوسائل التي تحقق تلك الغرض. وأخيرا تم تقدم لغة المعادلات والرموز الرياضية وزيادة التعاون بين علمين الاجتماع والانثروبولوجيا ، إلى أن أعاد الأنثروبولجيين النظر في مناهجهم وأساليبهم البحثية.

ومن اللذين تصدوا للأسلوب الإحصائي هو "قريفتس" وأوضح خطورة ربط دراسة البناء الاجتماعي والرابطة المصطنعة التي يرغب بعض العلماء في إقامتها بين المقاييس الرياضية والبناء الاجتماعي.

وكذلك حذروا من استخدام الإحصاء لأنه يتميز بالدقة الزائفة أو أنه يؤدي إلى التضليل أو أن المعالجة الوظيفية تتألف بصعوبة مع الأرقام الرياضية.

أما الذين أيدوا الأسلوب الإحصائي في الدراسات الأنثروبولجية يرون أنه كلما تقدمت الأنثروبولجيا وتطورت زاد الاهتمام إلى الأسلوب الكمي وكلما بعدت عن دراسة المجتمعات المتجانسة والمستقرة برزت الحاجة الى الأسلوب الإحصائي.

وقد جاء اهتمام بعض الأنثروبولجيين بالأسلوب الإحصائي في نطاق اهتمامهم بدراسة البناء والمقارنة الثقافية ومن ذلك يشير ليفي ستراوس إلى أن أحد المزايا الرئيسية في دراسة البناء الاجتماعي إنه يمكن من استخدام القياس في الأنثروبولوجية الثقافية . وهكذا بدأ القبول الشرعي للاستعانة بالإحصاء ، ولكنه مساعدة في المنهج الانثروبولوجي ويستخدم بأسلوب بسيط حيث تجمع المعلومات وتحلل كميا دون استخدام نماذج رياضية.

1-الإحصاء والانثروبولوجيا من واقع الدراسات العالمية:

الاحصائي في المكسيك مستعينا بأسلوب cargo قام "كانسان" بدراسة نسق ديانة شغب. وقد توصل من zinzcanta في إطار تحليل البيانات المتوفرة في المكاتب الرسمية في خلال هذا التحليل إلى نتائج تكشفها الدراسة الكيفية ومنها وجود تصنيفات اجتماعية أخرى غير التي أوضحتها الدراسة المتعمقة. كما تبين له ارتباط الزواج بالديانة حيث يتزوج الإفراد من داخل الطائفة الدينية التي ينتمون لها ويكتسبون الأبناء المكانة وفق للمكانة الدينية لآبائهم.

ودرس "بورتون باسترانك" بعض الظواهر الثقافية المتعلقة بالمواليد وعادات الطعام الخاصة بالأطفال حديثي الولادة بالاعتماد على التحليل الإحصائي.

وكذلك أجرى جاك أرن دراسة عن الفقر في الفيليبين حاول فيها معرفة معدل تزايد الفقر ونسبته لذا أجرى إلى إجراء تحليل تاريخي لبيانات الفقر عالميا ومحليا.

وكذلك درس" ماك ميلان" وزملائه عن النمو الدولي، فقد إستعانو بالأسلوب الإحصائي في عقد مقارنة بين دول العالم الأول والثالث وفقا للبيانات الرسمية المتاحة عن هذه الدول كما قاموا بإجراء دراسة حالة للوصول إلى نتائج أكثر عمقا حول الموضوع المدروس . وخلص من هذه الدراسة إلى التأكيد على إن الأنثروبولجيا المعاصرة لم تعد تهتم بتناول القضايا الجزئية فقط بل والكلية أيضا لذا فإن الأسلوب الإحصائي مهم في التحليل من المنظور الكلي.

2-الإحصاء والانثروبولوجيا من واقع الدراسات المحلية:

تعد دراسة ناهد صالح من الدراسات الرائدة والمبكرة في هذا المجال ، إذ انطلقت أساسا من تقويم الإحصاء في البحوث الأنثروبولجية مؤكدة العلاقة بين النظرية والمنهج وبينها وبين الموقف من استخدام الأسلوب الإحصائي وكيفية استخدامه وقد قامت باختبار هذا الأسلوب من خلال دراسة ميدانية تناولت النسق الاقتصادي لقريتين أحداهما زراعية والأخرى زراعية صناعية في طريقها للتحول إلى مجتمع صناعي .

وأمكن بالاعتماد على الأسلوب الإحصائي جمع بيانات عن العلاقات الاجتماعية التي هي محور الدراسة الانثروبولوجية الاجتماعية كما تبين صلاحية هذا الأسلوب في جمع بعض البيانات عن ثقافة هذا المجتمع.. وكذلك دراسة رائدة أخرى تحت إشراف علياء شكري تدور حول المرأة في الريف والحظر ومدى مساهماتها الاقتصادية والأدوار التي تؤيدها عبر دورة حياتها، اتخذت من الأسلوب الإحصائي أسلوبا أساسيا بجانب استخدام الأساليب الكيفية.